قالت العرب

رأيتك فى خوابى الماء والقمح محطّمة / رأيتك فى مقاهى الليل خادمة / رأيتك فى شعاع الدمع و الجرح / وأنت الرئة الأخرى بصدرى أنت أنت الصوت فى شفتى وأنت الماء أنت النار.

المشهد
العدد 331 - السنة الثانية عشرة-الأحد 10 سبتمبر 2023م - 25 صفر 1445هـ

إبراهيم عبدالمجيد لـ «المشهد»: ذاكرتي هي النسيان

وضع الفنون المرئية فى مصر الآن مؤسف بعد إخضاع السينما والتليفزيون لاحتكار شركة واحدة

تظل القصة والرواية هى الأقرب إلى روحى فما أنا إلا قصص ورواية لم تكتمل

المدرسة السبب الأول فى اكتشاف موهبتى فى الكتابة والإبداع ابن الهزائم والآلام أكثر مما هو ابن الراحة والسعادة

يحظى الكاتب المصرى إبراهيم عبدالمجيد (١٩٤٦م) بمكانة كبيرة فى الأدب العربى حيث ترجمت أعماله إلى عدة لغات مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وتحولت بعضها إلى شاشات السينما والتلفزيون وحظى بمجموعة من الجوائز المهمة التى قلما يحصل عليه أديب مجتمعة مثل جائزة نجيب محفوظ للرواية من الجامعة الأمريكية بالقاهرة عن «البلدة الأخرى» عام ١٩٩٦م. وجائزة معرض القاهرة الدولى للكتاب لأحسن رواية عن «لا أحد ينام فى الإسكندرية» عام ١٩٩٦م. وجائزة الدولة للتفوق فى الآداب من المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٤م. وجائزة الدولة التقديرية فى الآداب من المجلس الأعلى للثقافة عام ٢٠٠٧م. وجائزة كتارا للرواية العربية عن فئة الروايات المنشورة عن روايته «أداجيو» عام ٢٠١٥م. وآخرها جائزة النيل ٢٠٢٢م وهى أرفع الجوائز التى تمنحها الدول المصرية لأبنائها المبدعين. قدم للمكتبة العربية العشرات من الروايات والمجموعات القصصية والمقالات الأدبية والسياسية كما أسهم بنصيب فى الترجمة وكتابة المسرح والسير الذاتية الاجتماعية وفى هذا الصدد كان لصحيفة المشهد هذا الحوار معه

قراءتى لنجيب محفوظ كانت السبب فى دراستى للفلسفة ولم يأت الأمر مصادفة

ما زلنا فى انتظار من يدرس الكتابة بعد ثورة يناير ليوضح ملامحها الفنية الجديدة

حاولت أن أمسك بروح كل زمن فى رواياتى عن الإسكندرية والباحثون أحرار فى نظرتهم لأعمالي

المشهد السردى والإبداعى فى مصر جميل وإن غلبت على كثير من الروايات طريقة الحكى التقليدي

● كيف تكشفت موهبة الحكى لديك؟ وهل بدأت الإبداع سردًا أم كانت البداية مع الشعر؟ ومن الذين ترى لهم الفضل فى بداية تلمسك لطريق الإبداع؟ وإلى أى مدى أنت مدين لهم فى هذا المجال؟ ولماذا؟

– كانت المدرسة هى السبب الأول. لقد التحقت بالتعليم الابتدائى عام ١٩٥٢، وكانت المدارس متسعة بها ملاعب للكرة، والكرة الطائرة وكرة السلة والجمباز، والفصل الدراسى لا يزيد عن عشرين تلميذًا، وكانت بها جماعات للموسيقى والتمثيل والشعر والرحلات والكشافة وغيرها. كانت هناك ساعتان للقراءة الحرة فى المكتبة يختار فيها كل تلميذ ما يعجبه ليقرأه. كانت مدرسة القبارى الابتدائية بحى القبارى تأخذنا فى رحلة كل أسبوع لسينما فريال، وثمن الرحلة ثلاثة قروش رغم أن سعر التذكرة كان تسعة قروش، فقد كانت سينما من الدرجة الأولي. كنت محبًا للسينما مجنونًا بها وأوضحت ذلك فى كتابى "أنا والسينما"

من السينما عرفت أن الأفلام مأخوذة عن روايات وملاحم. ومن القراءة الحرة قرأت روايات للفتيان حين كنت فى الثالثة عشر من عمري. حدث أن كنت أقرأ فى رواية بعنوان «الصياد التائه» لمحمد سعيد العريان، فيها يتوه الصياد فى الصحراء ويبحثون عنه. وذلك فى مدرستي«طاهر بك» الإعدادية بالورديان، وكانت مثل مدرستى الابتدائية فى النشاط الثقافى والرياضي. أبكتنى القصة فرآنى أمين المكتبة وجاء يسألنى لماذا أبكي؟ قلت له الصياد ضاع، فقال لى هذه ليست حقيقة يا إبراهيم، هى قصة من تأليف الكاتب. أحسست بميل كبير للتأليف وبدأت كلما قرأت قصة أحاول أن أؤلف مثلها. انجذبت للتأليف بقوة.

لم يشجعنى أحد

اتسعت القراءة فشملت الشعر وكتبه، لكن وجدت ضرورة فهم العروض والوزن وقرأت فيها، والحقيقة لم أفهمها، فتوقفت عن الشعر وظللت أكتب القصص لنفسي. لم يكن لأحد دور فى تشجيعى لسبب بسيط جدا، هو أن الوقت متسع للقراءة والمذاكرة والنجاح فى الدراسة سهل ودائما كنت من المتفوقين. حدث وأنا فى المرحلة الإعدادية أن فزت بالمركز الأول على الفصل، فأهدونى فى عيد العلم ثلاثة أعداد من مجلة المقتطف القديمة التى كان يرأس تحريرها شبلى شميل فى بدايات القرن العشرين، وكتابا لطه حسين ومؤلف آخر نسيت اسمه عن الأدب العربى القديم. قرأت فيها فعرفت أسماء لم أعرفها من الفلاسفة والأدباء.

هذا قاص موهوب

اتسعت القراءة بقوة وظللت أكتب روايات وقصص لنفسي، حتى حضرت محاضرة للدكتور محمد مندور فى قصر ثقافة الحرية – قصر الإبداع الآن– كانت عن المذاهب الأدبية. عرفت أن للأدب تاريخا ومذاهب واتجاهات، فاندفعت اقرأ فى تاريخ الأدب وتوقفت عن الكتابة الساذجة، ثم بدأت أكتب وأنا أفكر أن أكون مختلفا فاهمًا لمعنى البناء الفني. اشتركت فى مسابقة للقصة القصيرة بنادى القصة بالإسكندرية وكانت على مستوى الجمهورية، ففزت بالجائزة الأولى، وتم نشرها كاملة فى جريدة أخبار اليوم مع مقدمة لمحمود تيمور بعنوان «هذا قصاص موهوب». شعرت أنى امتلكت العالم وبدأت أنشر فى مجلات القاهرة مرسلا ما أكتبه بالبريد، حتى انتهيت من التعليم الجامعى وجئت لأعيش بالقاهرة.

● هل لك طقوس معينة فى الكاتبة واستحضار الإلهام؟

– طقوسى بسيطة جدًا. غرفة مكتبى مضاءة بلمبات بيضاء، وأسمع الموسيقى الكلاسيك أثناء الكتابة تحملنى إلى الفضاء، وأكتب بعد منتصف الليل فأشعر أنى وحدى فى الكون، ولا أكتب عمدًا أو قاصدًا. أنا أرى الكثير فى الحياة أتركه يذهب إلى اللاشعور، مدركًا أنه سيأتى منه يومًا حين أريد. ذاكرتى هى النسيان. لم أخطط لرواية، ولم أؤمن بكلمة مشروع للروائي، ولم أحتفظ بأجندة أسجل فيها ما يقابلنى أو أراه. ما يأتى به اللاشعور استجيب له.

● حصلت على الليسانس من قسم الفلسفة مثلما هو الحال مع الكاتب الكبير نجيب محفوظ فهل هذا الأمر جاء مصادفة؟ وما دوافعك لدراسة الفلسفة؟

– لم يكن مصادفة. قراءتى لنجيب محفوظ وقراءتى عنه كانت السبب. قلت فلأكن مثله وأدرس الفلسفة، لأعرف ماوراء العالم.

● رأيت شيئًا من الحقبة الناصرية ثم الساداتية والمباركية والآن هل لاحظت ثمة اختلاف فى السرد المصرى بين حقبة وأخرى؟ أو صعود نوع أدبى على حساب آخر؟ وما سبب ذلك من وجهة نظرك؟

– هذا موضوع كبير يحتاج إلى دراسة متأنية، لكن أهم ملاحظة أنه بعد هزيمة ١٩٦٧ راجت القصة القصيرة أكثر من الرواية. وفى السبعينات بدأ رواج الرواية. فى كل الأحوال هناك من يحكي، وهناك من يغامر فى شكل الكتابة، وأنا مع النوع الثاني، فليس مهما ما تكتب، لكن المهم كيف تكتب. السبب فى ذلك أن تاريخ الأدب والفن هو تاريخ التجديد فى شكل الكتابة، فالكلاسيكية غير الرومانتيكية غير الواقعية غير الواقعية الجديدة وهكذا، ووراء كل منها فلسفة فى رؤية العالم. الذين كتبوا فى عصر عبد الناصر تميز منهم المغامرون فى الشكل الأدبى مثل يوسف دريس ويوسف الشاروني، ونجيب محفوظ الذى توقف عن الكتابة ليكتب بسرد آخر وموضوعات أخرى رواية «أولاد حارتنا» عام ١٩٥٩. تغير شكل الكتابة لا يرتبط بالرؤساء، لكن بالأحداث الكبري. فبعد ثوة ١٩١٩ بدأت كتابة جديدة، وبعد الحرب العالمية الثانية، وبعد هزيمة ١٩٦٧، والآن مع التغيرات التقنية فى العالم كتابة أخرى. وأعتقد أننا لازلنا فى انتظار من يدرس الكتابة بعد ثورة يناير، ويوضح ملامحها الفنية الجديدة.

● تدرس الروايات الآن فى أقسام التاريخ لما لها دلالة مهمة اجتماعية وسياسية وثقافية على السياق الذى كتبت فيه فهل ترى أن أعمالك قد أرخت للإسكندرية التى اختفت بشكل غير مقصود؟

– لا تعليق لى على الدراسات للأدب. الأدب يمكن دراسته من زوايا عديدة. قبل أن أكتب رواية «لا أحد ينام فى الاسكندرية» التى يعتبرها النقاد رواية تاريخية كنت كتبت ثلاث روايات صغيرة من وحى الإسكندرية هى «الصياد واليمام» و«ليلة العشق والدم» و«بيت الياسمين». أنا لا أضع فى ذهنى تأريخا للمدينة، لكن تطاردنى حياة الذين عرفتهم، وتستبد بى رغبة التعبير عن المكان الذى تقريبًا قد ضاع. حين بدأت كتابة رواية «لا أحد ينام فى الاسكندرية» كان السبب الذى حملته فى روحى منذ الطفولة، هو حكايات أبى وأمى عن الحرب العالمية الثانية. لقد حاولت فى الرواية أن أمسك بروح ذلك العصر حين كانت الإسكندرية مدينة العالم. بعد أن انتهيت منها أدركت أنها لم تعد كذلك منذ الخمسينات، حين بدأت سياسة الدولة فى طرد الجاليات الأجنبية، من أرمن وأكراد ويونانيين وإيطاليين ويهود وغيرهم. صارت مدينة مصرية، فكتبت رواية «طيور العنبر» عن ذلك الزمن.

بعد أن انتهيت منها نظرت حولى وأدركت أن الإسكندرية لم تعد عالمية ولا مصرية. صارت سلفية رجعية وهابية فكتبت رواية «الإسكندرية فى غيمة». ينظر الباحثون إلى ما أكتب باعتباره شواهد تاريخية فهم أحرار، ويسعدنى ما يكتبون، لكن أنا حاولت أن أمسك بروح كل زمن.

● فى الفترة الأخيرة لجأ كثير من الكتاب إلى الرواية التاريخية والفنتازية والصوفية وبعدت عن الأعمال الواقعية كيف تفسر ذلك الأمر؟

– الهروب إلى زمان ومكان أفضل. فى مثل هذه الروايات تتسع مساحة الخيال ومن ثم تجذب القارئ.

● اتخذ نجيب محفوظ من الرمز والأسطورة والحكايات الشعبية قناعًا لنقد الواقع السياسى والتعبير بحرية عما يريد قوله داخل الروايات ولا يستطيع الجهر به فى حياته؟ فهل يلجأ الأدباء إلى ذلك القناع والخطاب المضمر بسبب التضييق على الحريات أم لأسباب فنية تتعلق بطبيعة الإبداع التى تنفر من المباشرة؟ وكيف مارست ذلك الأمر داخل أعمالك الإبداعية المتنوعة؟

– قبل عام ١٩٧٨ كنت منتميا مثل الكثير من الشباب وقتها إلى حزب ماركسى سري. حدث ذلك بعد هزيمة ١٩٦٧ التى جعلتنى أرى الخطأ الكبير فى الحقبة الناصرية. وحدث أنى امتلأت بالرغبة فى تغيير العالم، لكن لاحظت أن ما أكتبه من قصص يغلب عليه المباشرة والرأي. كنت أتيت للعيش فى القاهرة، وكانت كل حياتنا سياسة فى الحديث والحركة، فانعكس ذلك على الإبداع الأدبي. كنت أمزق القصص ولا أفكر فى نشرها لأنى أعرف أن الفن لا علاقة له بالأفكار المباشرة.

فى عام ١٩٧٨ تركت الأحزاب الشيوعية وشعرت أن حملًا كبيرًا نزل عن كاهلي. بدأت أكتب فى رواية «المسافات» فإذا بى أدخل فى منطقة أسطورية. صرت أهتف وجدتها وجدتها. من يومها عشت فى فصام. الليل للإبداع والفن، والنهار للمقالات السياسية. الليل للروح والنهار للعقل. الإبداع مواقف وأحداث وليس أراء.

● كان الدكتور سليمان العطار رحمه الله يرى أن هناك علاقة عكسية بين تأخر بعض الأمم فى ركب الحضارة وبين الإبداع الذى تنتجه، فكلما كانت الأمم أدنى درجة فى سلم الحضارة كان نتاج مبدعيها أكثر قوة ونضجًا والعكس فما رأيك فى تلك النظرية وإلى مدى هى صالحة لتقييم الحالة الإبداعية فى الوطن العربي؟

– والله لقد كتبت فى ذلك مقالا مبكرًا جدًا ربما عام ١٩٩١م. الإبداع ابن الهزائم والآلآم أكثر مما هو ابن الراحة والسعادة.

وطبعا هناك استثناءات. لكن هذه الاستثناءات تأتى فى العالم المتحضر من الرؤى الفلسفية للكون. هل تذكر مثلًا جمهورية أفلاطون. إنها بناء مكتمل للسعادة، لكنه منع دخول الشعراء إليها لأن الشعراء والمبدعين عموما لا يكفيهم أى اكتمال.

● كيف ترى المشهد السردى والإبداعى فى مصر، وهل حدثت عملية من التجريف فى هذا المشهد كما فى كثير من المجالات التى جرفت أما أنه نجا بأعجوبة؟

– المشهد السردى والإبداعى فى مصر جميل، وإن غلبت على كثير من الروايات طريقة الحكى التقليدي. لكن هناك أعدادا كبيرة تبدع فى شكل الكتابة. والشعر الذى يقال إنه غائب موجود لكن يحتاج متابعة. الإبداع يبنى لنا عالما أجمل مما حولنا لذلك يتحقق بقوة.

● هل ترى أن جائزة نوبل قريبة من الإبداع العربى فى السنوات القادمة وما الأسماء التى ترى أنها جديرة بحصدها؟

– لا افهم لا أنا ولا غيرى طريقة جائزة نوبل. وهناك فى عالمنا العربى ومصر كثيرون جديرون بها، لكن دعنى من ذكر الأسماء حتى لا أنسى أحدًا.

● قدمت كثير من أعمالك على شاشة السينما كيف ترى العلاقة بين الأديب والشاشة الكبيرة والصغيرة، وهل ضعفت السينما المصرية بسبب عدم اعتمادها على تقديم الأعمال الروائية؟

– السينما أحد المصادر المهمة للأديب فى الكتابة. من السينما يمكن أن يتعلم الإيجاز فى الصورة، وكيف يكون تتابع الفصول له معنى، وغير ذلك من تقنيات الفيلم يمكن أن يفيد الكاتب. أما العلاقة بين الرواية المكتوبة مثلا والفيلم، فأمر لا يجب أن يتوقف عنده صاحب الرواية. فالسينما صورة والرواية لغة، والكاتب يُسأل عن روايته وليس عن الفيلم. العلاقة بين الرواية والسينما تاريخ منذ ظهور السينما، وقامت على الرواية أعظم الأفلام. أكثر سنوات الازدهار فى مصر فى صناعة السينما كانت فى الخمسينات والستينات من القرن الماضي، حين اتسعت السينما لفن الرواية فصارت معظم الأفلام عن روايات لإحسان عبد القدوس ويوسف السباعى ونجيب محفوظ ويوسف إدريس ومحمد عبد الحليم عبد الله وغيرهم.

لقد عرفت السينما المصرية طريقها للرواية منذ فيلم «زينب» غير الناطق فى بداياتها ولم تبتعد عنها، بل اعتمدت عليها كثيرًا. حتى حين ظهرت موجة المخرج المؤلف فى الثمانينات وظهر مخرجون مثل داوود عبد السيد وخيرى بشارة ومحمد كامل القليوبى وغيرهم اعتمد بعضهم على الرواية.

وضع مؤسف

الآن الوضع مؤسف. السينما والتليفزيون تخضعان لاحتكار شركة واحدة، والانتاج قليل جدا قياسًا على ما قبل، فلا تزيد الأفلام عن خمسة عشر فيلما، بينما كان المتوسط من قبل ستين وسبعين فيلما فى العام، والأمر نفسه مع المسلسلات. أضف إلى ذلك أن الرقابة الآن قوية جدا فلا تستطيع المغامرة بفيلم سياسى مثلًا ينتقد الأوضاع من حولنا.

● تنوعت أعمالك الإبداعية بين القصة والرواية والمسرح والمقال والسيرة والترجمة فما منبع هذا التنوع والثراء؟ وأيها أقرب إليك؟

– منبعه هو حياتى نفسها، فلقد عشت مساهمًا فى العمل السياسى يومًا، فضلًا عن إحساسى الدائم بأن لديّ ما أريد أن أقوله أسرع من كتابة الرواية التى تستغرق وقتًا، فكانت المقالات الى جوار القصة القصيرة والرواية. مع الوقت أخذنى الشغف لكتابة مسرحية فكتبت مسرحية واحدة بعنوان «٢٤ ساعة قبل الحرب» عن ماذا يمكن أن يحدث لو كانت الحرب بيننا وبين اسرائيل غدًا. جاءت الترجمة تتويجًا لنشرى من قبل مراجعات لكتب انجليزية قرأتها وكانت أسرع فى النشر، ففكرت مرتين فقط فى الترجمة الكاملة. مرة عام ١٩٨٩ فترجمت كتاب «مذكرات عبد أميركي» لفريدريك دوجلاس، ومرة منذ ثلاثة أعوام فترجمت كتاب «رسائل من مصر» للوسى دوف جوردون. مستمر فى القراءة بالإنجليزية جوار العربية، ولو تركت نفسى للترجمة ماكنت كتبت رواياتى وقصصي.

السيرة

أما السيرة فطبيعى مع التقدم فى العمر أن تنشر شيئا من سيرتك، لكنى اخترت السيرة فى الحياة الثقافية، أما السيرة فى الحياة نفسها فلقد تسربت إلى رواياتي. طوال حياتى لم ألتزم بعمل حكومي، وكل عمل كاد يشغلنى عن الكتابة تركته، والآن منذ خمسة عشر عاما لا ارتباط بينى وبين أى عمل حكومى حتى ولو ليوم واحد، فلقد أحلت إلى التقاعد عام ٢٠٠٦ وتوفر لديّ الوقت أكثر من ذى قبل. لكن فى النهاية تظل القصة والرواية هى الأقرب الى روحى فما أنا إلا قصص ورواية لم تكتمل.

● حصدت العديد من الجوائز أى هذه الجوائز أحب إليك ولماذا؟

– لكل جائزة فرحتها. الجوائز فى السنوات الأخيرة كانت خير معين لى على الحياة ورحلة المرض وتكاليفها. سعادتى بها أنها تؤكد لى أن مافعلته لم يضع هباء. وبالمناسبة فى كل الجوائز لم أتقدم إليها لكن كانت دور النشر هى التى تتقدم أو هيئات ثقافية. كل الجوائز محببة إلى قلبى فلقد كانت كالغيث الروحى والمادى فى زمن صعب.

● فى الأخير حدثنا عن مشاريعك القادمة؟

– للأسف ليس لديّ أى مشروع. انتهيت منذ أربعة أشهر من رواية قصيرة، نوفيللا، وبعد الانتهاء من عمل أدبى أدخل فى منطقة الضياع والعدم حتى يفتح الله على بعمل آخر يأتى به اللاشعور. لا أحب أن اتحدث عن عمل قيد النشر. أقرأ كثيرًا كتبا فكرية وأكتب عن بعضها محاولا جمع فتات عقلي، الذى شعرت به قد تشتت بعد رحلة المرض. وأكتب مقالات رأى أجمعها فى كتب، والحمد لله يتم نشرها وتجد صدى طيبا بين القراء.

حاوره: عبدالكريم الحجراوي